صناعة الأجيال

د. حبيب زين العابدين

لاحظت في بعض المقالات والكتابات التي تدور حول المرأة في الوقت الحاضر أن عدداً منها يلمز بشكل مباشر أو غير مباشر المرأة في الجيل السابق لجيلنا ويتهمها بالرجعية والتأخر وينسف كل دور لها ويعدها أنها كانت عالة علـــى المجتمع بل ربما وصفها بعضهم بأنها كانت تعيش كالحيوان لا تشعر بالوجود من حولها .

والحقيقة أن في مثل هذا الاتهام مبالغة كبيرة بل فيه إجحاف لحق أمهاتنا اللاتي قدّمن خدمات جليلة لم يعد يحس بها هذا الجيل ويقدرها حق قدرها .. كيف ننسى كم كدت الأم وكم لاقت من صعاب لتخرج للمجتمع أفذاذاً على قدر عالٍ من العلم وحسن الخلق أليست هي التي كان وراء هذا الطبيب وذاك المهندس وتلك الباحثة ..

إنّ في حياة كثير منا أمثلة عظيمة ورائعة لدور أمهاتنا في بناء هذا الجيل لا توزن بجانبها كل المشاركات التي تقوم بها المرأة في العصر الحاضر .. فإن شاركت المرأة اليوم في التعليم والتمريض والتطبيب وطمحـــت إلى المـــشاركة في التصنيع .. فكم جاهدت أمهات الأمس القريب في صناعة رجال ونساء اليوم .. ونحن عندما نخطط اليوم لدور أفضل للمرأة فلا بد وأن نلقي نظرة على تجربة الغرب الذي ربما نحج في إيجاد المرأة المشاركة للرجل في كل مجالات العمـــل من أدق الصناعات إلى أشق الأعمال ولكنه أخفق إخفاقاً ذريعاً في الحفاظ على المرأة التي تـــصنع رجـــال المـــستقبل ونساءه حتى أضحى الأطفال والشباب والفتيات في ضياع كبير وعمت الفوضى تلك المجتمعات ، وها هو ذا الغرب اليوم يصرخ وينادي مهيباً بالمرأة كي تعود إلى بيتها فتعيد بذلك إلى الأسرة والمجتمع توازنهما وتحافظ على التئامهمـــا وسلامتهما من الفوضى والضياع .

إنّ نجاح الأمة الإسلاميّة في العودة إلى قيادة البشرية وبناء الحضارة الحقيقية للإنسان في المستقبل القريب إن شـــاء الله –بعد أن أفل نجم الحضارة الغربية– منوط بنجاحها في الموازنة بين الدور الأساسي للمرأة ألا وهو صناعة الأجيال وبين مشاركتها فيما تقتضيه الضرورة ويحتاجه المجتمع من أعمال تليق بفطرتها ولا تتعارض مع دورها الحقيقي .. إنه تحد كبير ولكنه ليس بالمستحيل .

والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل